المحافظة على الماء في ضوء السنة النبوية

د/سعد المغازي عبدالمعطي محمود
جامعةالسلطان أحمد شاه الإسلامية ببهانج(UNIPSAS)– ماليزيا
ahmanmaghazy77@gmail.com

الملخص

أضحت قضية البيئة من القضايا الهامة على الساحة العالمية، بل وأصبح لها أنصارها الذين ينادون بالحفاظ عليها، ويخوضون المعارك في سبيل ذلك، والإسلام اهتم بالبيئة في شتى جوانبها، وألزم بصيانتها والحفاظ عليها، فكل ما على الأرض من نعم ساقها الله للإنسان يجب حمايتها من التلوث، ومن كل ما يؤثر فيها من ضرر، فالحفاظ على الماء من التلوث ومن إهداره في عالم اليوم أصبح من القضايا بالغة الأهمية؛ نظرًا لقلة المياه الصالحة للشرب في كثير من بلدان العالم، وسلوك الإنسان الجائر يعرض هذا الجانب لخطر شديد، وقد يؤدي إلى نزاعات، فمن المعلوم أن التلوث بأشكاله يؤثر تأثيرا بالغا على الموارد البيئية التى حبا الله بها الكون، هذا التلوث يعرض التنوع الحيوي على الأرض للخطر، بل يهدد الكرة الأرضية كلها.

إشكالية البحث:ندرة المياه الصالحة للاستخدام الآدمي في بعض المناطق من العالم، تمثل تحديًا كبيرًا، وأصبحت مشكلة كبيرة قد تؤدي إلى حروب، ونزاعات، فما السبيل إلى تجنب هذه المشكلات؟، وهل هناك حلول لهذه المشاكل؟.

أهمية البحث: تتضح أهمية البحث في النقاط الآتية:

1-يعد هذا الموضوع من الموضوعات التي طرحت نفسها بقوة على الساحة الدولية.

2-يمكن تلافي النزاعات التي يسببها الخلاف على الموارد المائية بالاستغلال الأمثل للماء، والتعاون بين الدول. 3-يمثل التلوث لمصادر المياه العذبة مشكلة كبيرة.

أهداف البحث: تتبلور أهداف البحث فيما يلي:البحث عن حلول لمشاكل تلوث المياه، وهل الجانب الديني المتمثل في التعاليم الدينية في الديانات السماوية يمكن أن يقدم حلًا لهذا الأمر؟؛ على أساس أن انقياد الناس للتعاليم الدينية أشد من تقيدهم بالقوانين التي تصدرها الدول لمعالجة مثل هذه الأمور.

منهجية البحث:اتبعت المنهج الاستقرائي في معالجة جزئيات البحث، وانتهيت إلى بعض النتائج منها: أن التعاون بين الدول هو السبيل الأمثل لمعالجة هذا الجانب،وأن مصادر المياه العذبة على سطع الكرة الأرضية كافية لكل البشر،لو أُحْسِن استخدامها،وأن التلوث من أكبر المشاكل في هذا الشأن.

ونتناول هذا البحث في المطالب التالية: المطلب الأول:مصطلحات ومفاهيم.

المطلب الثاني:خواص الماء. المطلب الثالث:الحفاظ على الماء في ضوء السنة النبوية.

الكلمات الدالة:الماء–البيئة– الإسراف– موارد.

المطلب الأول

مصطلحات ومفاهيم

أولًا:تعريف البيئة في اللغة:يطلق لفظ البيئة ويراد به معانٍ عدة، منها:المنزل للإنسان والحيوان، فالمباءة: منزل القوم في كل موضع، وإصلاح الشيء، تقول بوأت للرجل منزلٍ، وبوأته منزلا؛ أي هيأته، وأصلحته().

البيئة في الاصطلاح:البيئة مصطلح علمي معاصر، بدأ ظهوره مع ظهور الفكر البيئي الذي يعد نتاج العصر الحاضر، ويعتبر البعض أن لفظ البيئة يقترب من لفظ ecology"" وهو لفظ لاتيني، ويعني"الدراسة العلمية لعلاقات الكائنات الحية بوسطها الطبيعي"، وهذه الكلمة مشتقة من اللفظ الإغريقي"oikos"، ومدلوله:منزل، ومنها"logos"، ومعناه:علم، وليس من المستبعد أن يكون من وقع اختياره على مصطلح"البيئة" للتعبير عن هذا العلم الجديد قد استلهمه من المعنى الذي يحمله تركيب اللفظ في اللغة اللاتينية().

ولذا عرف البعض البيئة: بأنهاالعناصر المحيطة بالإنسان من الماء، والهواء، والتربة، والنبات والحيوان، وهي الأركان الأساسية التي تشكل البيئة، وتحتاج إلى عمل مستمر للحفاظ عليها؛ لكي تصل إلى الأجيال القادمة().

وعرفها المؤتمر العالمي للبيئة بأنها: كل شيء يحيط بالإنسان().

فالبيئة هي المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية، وما يحويه من مواد، وما يحيط به من هواء وماء وتربة، وما يقيمه الإنسان من منشآت().

ثانيًا:تعريف الماء:في اللغة:مأخوذ من كلمة(مَوَهَ)، على وزن أفعل، وأصله(ماه)، وقيل أصله(موه)، ويجمع على أمواه، ومياه، وأمواء().

وقد ذُكِر لفظ الماء في القرآن الكريم(63) مرة().

وتنحصر معانيه في:

أ-المطر النازل من السماء، أو الذي يخرج من الأرض، قال تعالى"﴿... وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ ﴾().

ب-النطفة التي يخلق منها الإنسان والحيوان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾().

ج-ما يخرج من جسم الإنسان من سوائل، قال سبحانه:"﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ﴾().

وفي السنة: ورد لفظ الماء وتصريفاته في أحاديث كثيرة عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- ومن معانيه في السنة:

أ-السائل الذي يشربه الإنسان ويستخدمه في طهوره:ومنه حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ بِالزَّوْرَاءِ قَالَ وَالزَّوْرَاءُ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ السُّوقِ وَالْمَسْجِدِ فِيمَا ثُمَّهْ دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَوَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ فَجَعَلَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ"().

ب-السائل الذي خُلِقَ منه الإنسان: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ:جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَعْنِي وَجْهَهَا وَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ قَالَ نَعَمْ تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا"().

تعريف الماء في الاصطلاح:جسم رقيق مائع به حياة كل نام().

ثالثًا:تعريف السنة:في اللغة هى :الطريقة والسيرة سواء أكانت محمودة أم مذمومة().

أما في إصطلاح علماء الأصول فالمراد بها: ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوال أو أفعال أو تقريرات في مجال الهداية والتشريع().

المطلب الثاني

خواص الماء

للماء خواصي نفرد بها عن كل المواد الأخرى، ومن أهم هذه الخواص:

1-تجري فيه كل التفاعلات الحيوية في جسم الكائن الحي سواء أكان إنسانا أم حيوانا أم نباتا.

2-يعمل الماء على تنظيم حرارة الجسم بالتعرق، وبما يطرحه كل يوم ما بين لترين أو ثلاثة لترات من الماء، موزعة على النحو التالي:في الكليتين(1400جرام)، الجلد(850 جرام)، الرئتين(800 جرام)، الأمعاء(بضعة جرامات)، ويتم تعويض هذا الفاقد بالماء الذي يتناوله الإنسان في طعامه وشرابه().

3-الماء يعد من الوسائط الممتازة لانتقال الطاقة الحرارية، ويقوم بدور مهم للغاية في ضبط حرارة الجسم للإنسان وغيره من الكائنات.

4-يقوم الماء بدور كبير في إذابة المواد الغذائية داخل الجسم؛ لكي تعمل فيها العصارات الهاضمة، ثم يحمل هذه المواد أثناء امتصاصها من الأمعاء وانتقالها مع الدم إلى الأنسجة؛ ليأخذ كل منها ما يحتاجه ويلائمه، فالأمعاء والبنكرياس يفرزان يوميا(4،5 لتر من الماء)، والمعدة تفرز(2،5 لتر) من الماء، والغذذ اللعابية تفرز(1،5 لتر) من الماء يوميًا.

5-نظرًا لتميز الماء بخاصية الطفو، فالكثير من العناصر عندما تختلط به تطفو على سطحه.

6-ويتميز أيضًا بقدرته على إذابة العناصر، ويساعده في هذا أن الشحنات الكهربائية في الماء موزعة بحيث يكون جزء من ذرات الماء سالبة وأخرى موجبة، فيظهر الماء وكأنه مغناطيس يجذب إليه المواد الأخرى ويقوم بإذابتها، وإن اختلفت فيه سرعة ذوبان المواد، فالماء عندما يقوم بجذب الأيونات الموجبة أو السالبة من المواد الأخرى فإنها لا تعود للتجاذب فيما بينها، وتختفي بين ذرات الماء().

فالماء يمتاز بخاصية فريدة، وهي قدرته على إذابة المواد دون أن يتفاعل معها، وهو ما يسمح للمواد المذابة فيه أن تحتفظ بخصائصها، ولا تفقدها().

ولذا لم يكن مُسْتَغربًا أن يأمرنا الحكيم العليم-سبحانه وتعالى-باستعمال الماء في الطهارة؛ لتذوب المواد التي نريد التخلص منها، وتنأى بعيدا عن الجسم المراد تنظيفه.

فالماء مزيل للقاذورات والأوساخ، كما أنه مُذْهِب لعين النجاسة وأثرها، بما في ذلك الرائحة الكريهة التي تؤذي الإنسان، كما أنه يزيل الأوساط الملائمة لتكاثر الجراثيم وطفيليات الأمراض المعدية.

وبمقارنة الماء مع السوائل الأخرى في النظافة تتضح الفروق الكبيرة بين الماء وبينها، فالسوائل الأخرى لو استخدمت في التطهر والتنظف لكان ذلك سببًا في جذب الحشرات إلى جلد الإنسان؛ نظرا لما تحتويه هذه السوائل من روائح ونكهات، بخلاف الماء، فهو يتميز بأن لا رائحة له، فلا يوجد فيه ما يجذب الحشرات ويغريها بالتهافت عليه، مما يسبب للإنسان العديد من الألام كالقرص واللدغ والإزعاج، علاوة على ما قد تنقله من أمراض، فضلًا عن أن السوائل الأخرى غير الماء تبطل عمل ومفعول المنظفات الأخرى المستعملة معها كالصابون().

7-يدخل الماء في كل العمليات البيولوجية والصناعية، ويستحيل على أي كائن حي أيًا كان نوعه وشكله أن يعيش بدون الماء، فالمادة الحية في جسم الكائن الحي(البروتوبلازم) عبارة عن محلول لعدد من المواد المعلقة في الماء، ولا يمكن بحال أن يوجد(بروتوبلازم) بغير ماء، ولا توجد حياة بغير(بروتوبلازم)، فالماء هو المكون الهام والرئيسي، وهو وحدة البناء في كل كائن حي نباتا كان أم حيوانًا، فالماء ضروري لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الكائنات الحية، فهو إما وسيط أو عامل مساعد، أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه().

8-ومن خواص الماء أنه موطن الغالبية العظمى من الكائنات الحية، ويُكَوِن الماء حوالي(60 -70 %) من أجسام الكائنات الحية الراقية بما فيها الإنسان، وترتفع نسبة الماء إلى حوالي 90% من أجسام الكائنات الحية الدنيا، فالحياة فوق الكوكب الأزرق (الأرض) مرتبطة بوجود الماء فيها، على أن يكون على حالته الطبيعية النقية التي خلقه الله سبحانه عليها، فإذا أصاب الماء من تلوث يغير إحدى خواصه، كان ذلك مؤشرًا على خطر كامن يتهدد الحياة كلها().

فالماء لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال، وعلى الرغم من التقدم العلمي والتقني، فإن البشرية لم تستطع أن تتوصل لبديل آخر يمكن أن يحل محل الماء، وصدق المولى-سبحانه وتعالى- القائل في محكم التنزيل:" وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"().

المطلب الثالث

الحفاظ على الماء في السنة النبوية

أهمية الماء في الإسلام والدعوة للمحافظة عليه:

الإسلام دين ودنيا، هذه بديهية لمن يقرأ أحكام الإسلام، ولا ينكر ذلك إلا جاهل، أو متعصب أعماه التعصب عن رؤية الحق، فالإسلام شرع من النظم ما لم يشرعه نظام سابق أو لاحق، فوضع أسس العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية والأخلاقية، وأرسى نظامًا فريدًا في حفظ الصحة العامة للإنسان، فالسنة الشريفة اهتمت اهتماما بالغا برعاية البيئة بكافة أشكالها، وسبقت كل الدعوات والتشريعات في معالجة هذه القضايا، فجاءت السنة بتعاليم تبين رعايتها وحمايتها والتنبيه من خطورة إفسادها، أو التأثير بالسلب على أي عنصر من عناصرها كالماء والهواء وغيرهما، والماء بلا شك من أهم عناصر البيئة، وعليه تتوقف حياة كل ما في الكون من كائنات، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي وضع دستورًا ينظم صحة المجتمع والطب والعلاج، بل وضع نظامًا للطب الوقائي، وجعله من أسس الإيمان؛ لإيجاد مجتمع صحي، وفي هذا النظام الفريد الذي أرساه

الإسلام ربط التعاليم الصحية بعقيدة المسلم، وهذا لا شك في أن له أثره في التزام الناس في اتباع ما جاء به الإسلام في هذا المجال(المجال الصحي) ().

واهتم الإسلام بإيجاد بيئة صحية مثالية، وجعلها من صميم تعاليمه، فكان أول ما نزل من الوحي على سيد الخلق–صلى الله عليه وسلم– قول الحق سبحانه:" وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ"().

فالإسلام دين النظافة في شتى مجالات الحياة، وجاءت تعاليم الإسلام آمرة المسلمين بالتحري الشديد في المحافظة على النظافة، وقبل أن يهتدي الإنسان إلى معرفة الكائنات الدقيقة والميكروبات، والجراثيم بأنواعها().

هذه الكائنات الدقيقة والميكروبات، والجراثيم بأنواعها تسبب أمراضًا خطيرة وأوبئة، والأمراض الجرثومية في أغلبها عدم الاهتمام بالنظافة أو انعدامها كلية؛ ولذا جاءت السنة النبوية بالحث على النظافة والطهارة، ففي حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ:قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–" الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ"().

وحديث ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: " طَهِّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يَبِيتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ مَلَكٌ فِي شِعَارِهِ لَا يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا"().

بل إن الإسلام على لسان رسوله الكريم–صلى الله عليه وسلم– يحث على المداومة على النظافة والطهارة، حتى ولو يكن في وقت الصلاة، ففي حديث أنس بن مالك، أن الرسول–صلى الله عليه وسلم– قال له: يا بني إن استطعت ألا تبيت إلا على وضوء فافعل فإنه من أتاه الموت وهو على وضوء أعطي الشهادة"().

فالسنة النبوية أمرت بالمحافظة على الماء من أي تلوثٍ كان، فحثت السنة على تغطية الأواني؛ حتى لا تنتقل إليها الجراثيم التي تحملها الرياح، مما يكون سببًا في الأمراض.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ"().

وفي رواية البخاري عَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ وَغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَأَحْسِبُهُ قَالَ وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرُضُهُ عَلَيْهِ().

ففي الحديث إرشاد بتغطية الأواني التي تحفظ الماء؛ حتى لا تتعرض لأي تلوث، مما يؤدي لإصابة الإنسان بالأمراض التي تؤثر على حياته، وهذه المسببات للأمراض ليس لها وقت معين، فقد تنزل ليلا أو نهارا، ومن المعلوم أن الطعام والشراب من الأوساط الملائمة لانتشار الأوبئة، ويمكن التغلب على ذلك بتغطية آنية الطعام والشراب.

ومن الثابت علميًا أن هناك أوقات محددة في فصول العام من الصعب تحديدها أو التنبؤ بها من الممكن أن تحمل الرياح فيها أعدادًا لا حصر لها من الجراثيم، ومن أماكن بعيد جدًا إلى أماكن معينة، فتسبب انفجارًا وبائيًا لبعض الأمراض().

والفائدة من وضع العود التي أشار إليها الحديث، أن الحشرات الزاحفة إذا تسلقت الواني، وأرادت الانتقال إلى الجهة الأخرى تجد لها معبرًا(جسرا) تنتقل عليه دون أن تقع في الوعاء فتنجسه().

كما أن هناك بعض الأمراض المعدية تنتقل بالرذاذ عن طريق الجو المحمل بالغبار، والميكروب يتعلق بذرات الغبار التي تحملها الرياح، فينتقل المرض من المريض إلى الصحيح عن طريق الفم أو الأنف أو أواني الطعام والشراب، ومن المعلوم أن هناك أمراضا معينة تسري في أوقات محددة من السنة، فمرض الحصبة وشلل الأطفال يكثران في شهري(سبتمبر وأكتوبر) من كل عام، ومرض التيفود يكثر في الصيف، والكوليرا تأخذ دورتها كل سبع سنوات، والجدري كل ثلاث سنوات().

كل هذه التوجيهات النبوية لحماية الماء من التلوث قد تنتقل إليه عن طريق الهواء، أو الحشرات الناقلة للجراثيم والطفيليات، كالنمل والبعوض، والصراصير، والفئران، وكل هذا أكده الطل الوقائي الحديث، مُشَدِدًا على أهمية النظافة في الطعام والشراب، ونظافة الأواني المستخدمة فيهما؛ حتى لا تكون مصدرًا لنقل الأمراض().

النهي عن التنفس والنفخ في أواني ماء الشرب في السنة النبوية المطهرة:

من المعلوم أن الكثير من الأمراض تنتقل من المريض إلى الصحيح عن طريق اللعاب والشفتين، ويحدث هذا الانتقال عندما تتبادل مجموعة من الناس الشرب من إناء واحد، فإن هذا يساعد على اتساع دائرة المرض، فبعض الأمراض ينتقل عن طريق التنفس، وتعيش في السوائل أكثر مما تعيش في الهواء، والرذاذ ينقل العديد من الأمراض المعدية؛ كالأنفلونزا، والتهاب الحلق، والجدري والسل، وشلل الأطفال، والعديد غيرها من الأمراض الفيروسية (ومرض COVID 19) ما زلنا نعيش تداعياته، فينتقل عن طريق التنفس؛ لذا كان التوجيه النبوي بعدم النفخ في آنية الشرب؛ لتبقى نظيفة().

ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن:

1-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشُّرْبِ» فَقَالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ أَرَاهَا فِي الإِنَاءِ؟ قَالَ: «أَهْرِقْهَا»، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: «فَأَبِنِ القَدَحَ إِذَنْ عَنْ فِيكَ"().

2- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، وَأَنْ يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَأَنْ يَسْتَطِيبَ بِيَمِينِهِ"().

3-عن ابنِ عبَّاس، قال: نهى رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – أن يُتنَفَّسَ في الإناء أو يُنفَخَ فيه"().

فالتنفس في الإناء نهى عنه النبي–صلى الله عليه وسلم–كما نهى عليه الصلاة والسلام– عن النفخ في الإناء، والعلة في هذا النهي أنه ربما وقع شيء من ريق الإنسان في الإناء، فينتقل المرض من فيه إلى الإناء، وينتقل إلى أُناسٍ آخرين، كما أن الناس تعاف هذا الإناء الذي نُفِخ فيه وتستقذره.

لكن يوجد رواية أخرى للحديث قد تثير إشكالًا، وهي رواية ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ أَنَسٌ، يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ ثَلَاثًا"().

معنى هذا الحديث: أنه–صلى الله عليه وسلم–كان يتنفس في مدة شربه من الإناء ثلاثًا، أي أنه كان يتنفس عند إبانة(إبعاد) الإناء عن فمه، فالنهي هنا في أن يجعل النفس في الإناء ().

فعناية السنة بالبيئة والصحة والمحافظة على الماء من أي تلوث، عناية قوية؛ لأن الإسلام يريد مجتمعًا عفيًا قويًا، يمتليء أبناؤه بالنشاط والهمة العالية، ولا يمكن أن يتحقق ذلك في ظل بيئة ملوثة، فالأجسام الهزيلة لا تطيق ولا تتحمل ما يلقى على عاتقها من واجبات، ولا تستطيع أن تنهض بمسؤلياتها على الوجه الأمثل، كما لا يخفى على أحد سلامة البدن له أثره على سلامة التفكير، وفي الحكمة"العقل السليم في الجسم السليم"، والسنة تريد من المسلمين أن يكونوا أصحاء أقوياء؛ لتتحقق لهم العزة التي أرادها الإسلام لهم().

فالاهتمام بالنظافة ولا سيما الماء والمحافظة عليه من أي تلوث مطلبٌ إيماني، فالإنسان عماد الكون، وهو العنصر الفاعل والمؤثر تأثيرًا كبيرًا فيها؛ فلذا اهتم به الإسلام جسدا وروحا وعقلا وقلبا، وحثه على النظافة في بدنه، وعلى نظافة الكون المحيط به، فالمسلم نظيف في ثيابه، وفي ماكانه، وفي مطعمه، وفي بيئته، فالنظافة لها أثرها العميق في تزكية النفس، وفي تمكينها من القيام بأعباء الحياة، ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا في بيئة نظيفة في أهم عناصرها وهو الماء().

فالمولى سبحانه وتعالى جعل للماء مكانته، وجعله ضروريًا لحياة كل نام من حيوان وإنسان ونبات وغيرهم، فكل هذا أدعى لأن يحافظ الإنسان على بيئته المائية فلا يلوثها، ويحافظ عليها؛ لأنها من أجل نعم الخالق–سبحانه–وحتى تستمر مسيرة الحياة.

والسنة النبوية حافلة بالأحاديث التي تحث على حماية الماء وعدم تلويثه، ففي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ يَقُولُ:قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَا يَغْتَسِلْ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَهُوَ جُنُبٌ،فَقَالَ:كَيْفَ يَفْعَلُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ يَتَنَاوَلُهُ تَنَاوُلًا"().

وفي حديث جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–" أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ"().

وفي حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– :" اتَّقُوا الْمَلاَعِنَ الثَّلاَثَ : الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ"().

فهذه طائفة من أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين–صلى الله عليه وسلم–تنهي عن تلويث الماء بالتبول والتبرز فيه، فهذا الفعل مع قذارته، وعدم وعي من يفعله، واشمئزاز النفوس منه، هذا الفعل(التبول والتبرز في الماء) يكون سببًا في أمراضٍ عديدة، كالبلهارسيا، والحمى الصفراء، والأمراض الفيروسية؛ من هنا نعلم السر في نهي النبي–صلى الله عليه وسلم– عن قضاء الحاجة في الطريق، أو الظل تحت الأشجار، أو في الماء سواء أكان جاريًا أم راكدًا؛ لحاجة الناس في شرابهم، وزراعتهم، ومأكلهم، وفي نظافتهم؛ لأن الماء إذا كان ملوثًا بشيء مما ذكرناه قبلُ، وكان هذا الشيء لإنسان مريض، فلا ريب في انتقال هذا المرض لإنسان صحيح استعمل هذا الماء().

فالنهي هنا ليس منصبا على التبول في الماء الراكد أو على قارعة الطريق أو في الأماكن التي يستظل بها الإنسان، أو تحت الأشجار المثمرة، وإنما يقاس على ذلك جميع أنواع النفايات التي تلقى في المياه سواء، أكانت أنهارا، أم بحارا، أم محيطات، وسواء أكانت النفايات من مخلفات الإنسان، أو نفايات المصانع، أو النفايات الأشد فتكا، كالنفايات النووية، فخطر هذه النفايات يمتد لمدة زمنية طويلة للغاية.

وهذه الخطورة في الإصابة بسبب استعمال الماء الملوث بفضلات الإنسان، تزداد في حالة ما إذا كان الماءُ راكدًا(لا يجري ولا يتحرك)؛ لأن الماء الراكد نظرا لعدم تجدده يكون بيئة خصبة للميكروبات التي تسبب أمراضًا خطيرة للإنسان.

فالإسلام دين للحياة بكل جوانبها يحض على وقاية الإنسان وحمايته من كل المخاطر البيئية التي قد تكون سببًا في تعريض حياته للخطر، والمسلم انطلاقا من عقيدته مطالبٌ بأن يكون أصح الناس بدنًا، وأكثرهم حفاظًا على نعم الله، وأقلهم أمراضًا؛ لأن دين الإسلام الذي يؤمن به يحث على النظافة في البيئة والثياب والمأكل والمشرب، فكل هذا جزء من عقيدة المسلم ومن تعاليم دينه.

الأضرار المترتبة على تلوث المياه:

1–حدوث اختلال في التوازن البيئي الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، قال عز وجل" ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ"().

2–هلاك الأحياء البحرية، وما يترتب على ذلك من أضرار على حياة الإنسان.

3–ترتب على نضوب الماء أو نقصانه العديد من النزاعات الدولية والحروب.

4–ترتب على تلوث المياه تكاثر الأمراض بصورة كبيرة، مما تسبب في وفيات الكثير من البشر.

5–تعريض البشرية لخطر داهم، قد يودي بحياة مئات الملايين، نتيجة تلوث الماء، لا سيما إذا كان التلوث نتيجة إلقاء المواد السامة في مجاري المياه.

فتلويث المياه من الإفساد في الأرض، وهو حرام بنص القرآن الكريم، قال تعالى:" ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ"().

فالتلوث ضرر أي ضرر، وقد نهى عنه النبي–صلى الله عليه وسلم–" ففي الحديث"عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ مِنْ قَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– أَنَّهُ قَضَى أَنْ لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ"().

وهذا الحديث يعد قاعدة شرعية مشهورة في أن كل ما يترتب عليه ضرر في الحياة يعد ممنوعًا شرعًا، والتلوث للماء فيه ضرر بيّن بالبشرية كلها، فهو ممنوع شرعًا.

فالتلوث المائي يتسبب في أمراض كثيرة، تؤدي إلى إزهاق العديد من الأرواح، وقتل الكائنات الحية، وهذا محرم شرعًا، وممنوعٌ عقلًا، والقاعدة تقول"ما أدى إلى الحرام فهو حرام"().

بل إن السنة النبوية المطهرة تهدف إلى منع وقوع الضرر قبل حدوثه، وهو ما يعرف بالوقاية، فوضعت السنة العديد من القواعد لبيان معالم هذا المنهج الفريد، فالجانب الوقائي الذي أبانت عنه السنة يتمثل في المحافظة على البيئة المائية نظيفة من كل ما يلوثها، وقد سبق قبلُ ذكر العديد من الأحاديث التي تبين هذا المنهج، ومن الأحاديث أيضًا التي تدخل في هذا المجال، حديث فَرْوَةَ بن مُسَيْكٍ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلم – ، أرض عندنا يقال لها: أرضُ أبينَ هي أرضُ رِيفِنا وميرتنا وإنها وبئَةٌ –أو قال: وباؤها شديدٌ –، فقال النبي – صلَّى الله عليه وسلم –:، دَعْها عنك، فإن مِنَ القَرَفِ التَّلَفَ"().

قرارات مجمعية:قرار رقم 185(19/11)- بشأن البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي:

إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته التاسعة عشرة في إمارة الشارقة (دولة الإمارات العربية المتحدة) من 1 إلى 5 جمادى الأولى 1430هـ، الموافق 26-30 نيسان (إبريل2009م)،بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله،قرر ما يأتي:

(1) تحريم إلقاء أية نفايات ضارة على أي بقعة من بقاع العالم وإلزام الدول المنتجة لهذه النفايات بالتصرف بها في بلادها وعلى نحو لا يضر بالبيئة، مع التزام الدول الإسلامية بالامتناع عن جعل بلادها مكانًا لتلقي أو دفن هذه النفايات.

(2) تحريم كافة الأفعال والتصرفات التي تحمل أية أضرار بالبيئة أو إساءة إليها مثل الأفعال والتصرفات التي تؤدي إلى اختلال التوازن البيئي، أو تستهدف الموارد أو تستخدمها استخدامًا جائرًا لا يراعي مصالح الأجيال المستقبلية، عملًا بالقواعد الشرعية الخاصة بضرورة إزالة الضرر.

(3) وجوب نزع أسلحة الدمار الشامل على مستوى جميع الدول، وحظر كل ما يؤدي إلى تسرب غازات تساعد في توسيع ثقب طبقة الأوزون وتلويث البيئة، استنادًا إلى القواعد اليقينية الخاصة بمنع الضرر.

ويوصي بما يلي:

(1) تشجيع الوقف على حماية البيئة بمختلف عناصرها الأرضية والمائية والفضائية.

(2) إنشاء لجنة لدراسات البيئة من منظور إسلامي بمجمع الفقه الإسلامي الدولي تختص برصد كافة الدراسات والاتفاقيات والمشكلات المتصلة بالبيئة.

(3) التعاون مع المجتمع الدولي بمختلف الصور في سبيل حماية البيئة ومنع تلويثها، والانضمام إلى الاتفاقيات والعهود الدولية التي تعقدها الدول لمنع التلوث والإضرار بالبيئة، شريطة ألا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية أو تحمل أضرارًا بالدول الإسلامية.

(4) حث الدول الإسلامية على تفعيل المنظمات البيئية التي أوجدتها منظمة المؤتمر الإسلامي والهيئات التابعة لها، مع ضرورة التعاون الوثيق مع مجلس التعاون العربي الخاص بالبيئة، وكذلك مجلس التعاون الخليجي المهتم بها.

(5) الإكثار من الصناعات (صديقة البيئة) ودعمها بكافة الطرق الممكنة.

(6) حث الدول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي على الاستمرار في إصدار التشريعات والقوانين المنظمة للبيئة والمانعة من تلويثها، مع الاستعانة بسلطة القانون الجنائي بتوقيع العقوبات على الإضرار بالبيئة، وتشديد أجهزة الرقابة على مختلف التصرفات والأفعال التي قد تحمل الإضرار بأي عنصر من عناصر البيئة: المياه أو الهواء أو التربة.

(7) مطالبة المؤسسات المعنية بالشؤون الدينية في الدول الإسلامية بتزويد الأئمة والدعاة بالمعلومات البيئية، ونشر الأبحاث والدراسات المتعلقة بالبيئة ووسائل الحفاظ عليها.

(8) نشر الثقافة البيئية بمختلف الوسائل التي تؤدي إلى نظافة البيئة وحمايتها من كافة المخاطر عن طريق: (أ).البث المنظم لمخاطر البيئة في وسائل الإعلام.

(ب).التربية السوية، سواء داخل المنازل أو في مناهج الدراسة بمختلف مراحلها.

(ج).الاهتمام بفقه البيئة من دراسات الفقه الإسلامي بكليات الشريعة والدراسات الإسلامية.

والله أعلم؛؛

نتائج البحث

وفي الختام نشير إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها:

أن ما يظهر من فساد في الأرض من تلوث وغيره، مرده إلى سلوك الإنسان غير السوي، وعدم التزامه بأحكام الشرائع السماوية وتعاليمها.

الماء من أجل نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان، فيجب المحافظة عليه من التلوث، فإهداره وعدم المحافظة عليه جحود لنعم الله سبحانه، وهذا إيذان بزوالها.

حسن الاستفادة من الماء، واستخدامه الاستخدام الأمثل من صميم الشريعة الإسلامية، وامتثال لتعاليم الإسلام في هذا الشأن.

ما قدمه الإسلام من رؤى في الحفاظ على الماء من التلوث، وحسن إدارته، يجب تفعيله وإرشاد الناس إليه؛ فانقياد الناس للتعاليم الدينية أشد من انقيادهم للقوانين الوضعية.

يتحتم علينا العودة لتعاليم الإسلام ومنهجه القويم لإصلاح الاعوجاج في سلوك الناس، ومحاربة كل مظاهر الفساد والانحراف في سلوكهم، ومحاولة إصلاحه على هدي الإسلام.

الفرد المسلم هو الأساس والركيزة في الحفاظ على الماء، ومن ثم كان الاهتمام به هو حجر الزاوية في علاج مشاكل التلوث والقضاء عليها قضاء مبرمًا، فوعي الناس بخطورة المشكلة، ومعرفة أبعادها هو العلاج لهذا الأمر.

على المؤسسات التعليمية لا سيما الدينية منها القيام بدور فاعل وبناء في توجيه اهتمام الناس وتبصيرهم بخطورة مشكلة تلوث المياه، وما يمثله التلوث من تحديات لها أثرها الخطير على الحياة.

تدريس مناهج ومضامين تعليمية تتعلق بهذا الجانب للطلاب في جميع المراحل التعليمية، مع نهوض وسائل الإعلام المختلفة بدورها، وتوعية الناس.

-وفي الختام أدعو الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن يسدد على طريق الحق خطانا، إنه ولي ذلك ومولاه والقادر عليه، وصلى اللهم على من أرسله رحمة للعالمين، سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم.

(... رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) ().

المصادر

- الآمدي: علي بن محمد الآمدي أبو الحسن،الإحكام في أصول الأحكام، ت: د. سيد الجميلي دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة الأولى، 1404هـ.

-إدريس: د/عبدالفتاح: منهج الإسلام في حماية البيئة والمحافظة عليها، مؤتمر الإسلام والسلام،(1433هـ-2012م)، كلية الأداب، جامعة الدمام، السعودية.

-إسلام: د. أحمد مدحت، الماء سائل الحياة، نشر دار الفكر العربي، ط 1سنة 1999م.

-دنيا: د/شوقي ،الإسلام وحماية البيئة،الدورة التاسعة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي،منظمة المؤتمر الإسلامي،(1430هـ-2009م)، الشارقة، الإمارات.

-راغب: د/ماجد راغب:قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة الإسلامية، منشأة المعارف-الإسكندرية-200م.

-الزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي(ت: 794هـ)،البحر المحيط في أصول الفقه: ت: د. محمد محمد تامر،دار الكتب العلمية،1421هـ - 2000م،لبنان/ بيروت.

-أبوالعلا:د/عبد القادر:البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، الدورة التاسعة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدولي،منظمة المؤتمر الإسلامي،(1430هـ-2009م)، الشارقة، الإمارات.

- عبد الحليم- د/ دسوقي -أستاذ التكنولوجيا الحيوية المشارك، قسم العلوم البيولوجية ، جامعة قطر:الماء الدافق تركيبه خصائصه= موقع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، https://quran-m.com/?p=1368

-العدوي- د/ محمد عبد العليم العدوى: الإسلام وحماية البيئة ، من أعمال مؤتمر الاجتهاد فى قضايا البيئة والصحة والعمران.

-الفقي: م/محمد عبدالقادر:البيئة مشاكلها، وقضاياها وحمايتها من التلوث، مكتبة بن سينا، 1999م.

-القويفلي:د/لؤلؤة عبدالكريم:السلام العالمي في الإسلام:البيئة أنموذجًا، دراسة في ضوء سنة المصطفى-صلى الله عليه وسلم- مؤتمر الإسلام والسلام،(1433هـ-2012م)، كلية الأداب، جامعة الدمام، السعودية.

- الكفوي:الكليات(معجم في المصطلحات والفروق اللغوية):أيوب بن موسى القريمي،الكفوي، أبوالبقاء (ت:1094هـ)، ت:عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.